Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وموضوعا للتعالي وبلاغة للإدعاء. ذلك ما سوف نكتشفه غداة عودة الطفل، بعد زيارته للمغرب، إلى إقامته بمانشستر، وطبيعة المحكيات التي حملها معه إلى هناك للمزايدة على أقرانه بالمعرفة المختلفة.

سيمثل المغرب بالنسبة لشخصية الطفل مرجعا مستمرا لكينونتة، («قضيت في فاس ستة أسابيع لا أظن أن في استطاعة أية مدينة في العالم أن تقدم لي حياة شبيهة بها في الروعة») (ص 86). ولذلك كانت العودة إليه كالعودة إلى أصل مفقود، ثم سيصبح الرجوع إلى إنجلترا (مانشستر) عاكسا لقوة المرجع في التخاطب والتوافق مع الذات، خصوصا من خلال الأجواء التي أطلع عليها، وتحولت، سرديا، إلى محكيات صغرى تثير الدهشة (المدرسة القرآنية (ص 90)، الزواج (ص 92)، الأكل (ص 93) ، الحمّام (ص 95)، الأمية (ص 98)، الجنازة (98)، الدور السكنية (ص 99) إلخ...).

أن هذه الحلقة، تتميما للدور الذي لعبته الحلقة الأولى في تحقيق الإنسجام في ذات شخصية الطفل، تساهم في تثبيت الشعور الشخصي بالإنتماء إلى جذر معين، لإضفاء المعنى على مبدإ الاختلاف. وهنا أيضا فإن الأنا الساردة لا تروي الماضي فقط، بل وتساهم، وهي تؤرخ لتطور الذات، في بناء شخصيتها.

العـــودة النهـــائيـــة

سيودع الطفل إنجلترا «تلك البلاد الجميلة» (ص 114) التي أحس فيها بانفتاح مشاعره «لتستوعب أكبر ما يمكن استيعابه»، على شيء من الأسى الذي يخامر الأفراد وهم يودعون جزءا من ماضيهم. («الوداع أيها الماضي الذي انقضى منذ لحظات، ومع ذلك بات يخيل إلي أن سنين طويلة أصبحت تفصل بيني وبينه لكثرة ما ضج به قلبي منذ انقضائه من خلجات» ص 114). ونفهم من الوداع ذلك الانفصال النهائي عن المكان والاستقرار في مكان آخر، وفي ارتباط معه، «توديع» نظام من المعايير والقيم والمواضعات، واكتساب أخرى، لها نظامها الخاص. ولذلك يبدو التآلف شعورا وقبولا بالاستسلام لا اختيارا. وبهذا المعنى فإن الطفل الوافد على المغرب، بقرار من أبيه، وجد نفسه في محيط مختلف، سيكون عليه أن يتعلم لغته وعاداته وتقاليده، وأن يختار للصحبة فيه نماذج مغايرة لتلك التي اختارها في الموطن الذي كاد أن يتحول إلى موطنه الأصلي. وبانقضاء مدة الدهشة أو الصدمة، سيشرع في التآلف المشار إليه آنفا. («أخذت دهشتي تضمحل لأنساب مع التيار، فإذا بي أصاحب الأطفال وألاعبهم وأشترك فيما كانوا يشتركون فيه من أسباب التآلف والتخاصم، ولا أحسب أن سنة واحدة انصرمت حتى كنت قد اندمجت اندماجا غريبا في حياتي الجديدة، وابتعدت